العنف داخل الجامعات المغربية
&
حماية الطلبة داخل الحرم الجامعي

شهدت كلية العلوم بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بظهر المهراز بمدينة فاس أحداثا عنف مأساوية يوم الخميس 24 أبريل 2014 راح ضحيتها الطالب عبد الرحيم الحسناوي الذي فارق الحياة بالمستشفى الجامعي الحسن الثاني بفاس، وخلفت الأحداث كذلك إصابة طلبة آخرين حالاتهم متفاوتة الخطورة.

وليس هذا للأسف جديدا على فضاءاتنا الجامعية، حيث كانت المركبات الجامعية بفاس وغيرها من المدن الجامعية قد عرفت في السابق مناوشات تطورت فيما بعد إلى مواجهات بين طلبة من فصائل طلابية متناحرة تستعمل فيها الأسلحة البيضاء، أسفرت عن أحداث دموية وسقوط ضحايا في صفوف الطلبة.

فقد أسفر اقتحام الحي الجامعي سايس للذكور من طرف قوات الأمن في يناير 2013، إلى وفاة الطالب محمد الفيزازي. فيما شهد حرم جامعة القاضي عياض بمراكش في أكتوبر 2012 حادث اعتداء على الطالب إبراهيم بوعام على يد تنظيم طلابي . وهذه ليست حالات معزولة للأسف. ولا يمر موسم دراسي جامعي دون أن تشهد الجامعة مظاهر عنف وتناحر دموي.

يجب أن تظل الجامعة منارة للعلم ومعلمة لنشر المعرفة والاختلاف والتسامح وحسن تدبير النقاش الديمقراطي... وليس من مصلحتنا جميعا أن تتحول إلى مصانع لنشر التجهيل والتعصب و التطرف.

إن انتشار وتنامي ظاهرة العنف بمختلف أنماطها وأشكالها بالجامعة المغربية يؤثر بشكل سلبي على صورة الجامعة باعتبارها منارة للعلم ومشتلا للمعرفة وتعلم أشكال تدبير الحوار والاختلاف بهدوء وبذكاء وبتعقل، ليجرها إلى ظلمات التعصب و التطرف واللآحوار.

مما يستدعي توقفا آنيا وجديا على هذه الظاهرة؛ لتحليل أسبابها وبحث سبل معالجتها، وفق مقاربة تشاركية متكاملة ومتوازنة.

فمن المستفيد من هذا العنف؟ ولماذا تنتشر هذه الظاهرة وتأخذ أبعادا خطيرة سنة عن سنة؟ ومن في مصلحته التسويق لفكرة الجامعة

كمرادف للتخلف الفكري والانحطاط الخلقي؟ و إعطاء انطباع سلبي وعدواني عن الفضاء الجامعي؟

- إن لفشل الدولة في معالجتها لملف الجامعة ولانتهاج المقاربة الأمنية العنيفة سبب في ذلك.
- كما أن لعدم فتح قنوات للتواصل الجاد والمسؤول بين الدولة ومكونات الفضاء الطلابي سبب في ذلك. فعدم اعتراف الدولة بالمنظمة الطلابية التي ينضوي تحتها طلبة المغرب الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (أوطم) UNEM والتضييق على أنشطتها وتحركاتها يقفل باب الحوار السلمي، ويفتح باب الحوار على المجهول وعلى المغامرة.
- وللوضعية السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية المتردية للطالب المغربي كذلك جزء من المسؤولية في العنف داخل الجامعة، إضافة إلى واقع انسداد الأفق الذي يواجه الطالب ما بعد التحصيل الجامعي، وتنامي ظاهرة البطالة.
- كما أن للتطرف الإيديولوجي ولانسحاب الأحزاب الوطنية من الساحة الجامعية وللغلو السياسي في غياب التأطير الفكري والسياسي سبب في ذلك.
- كل هذا بجانب غياب ثقافة الحوار والتواصل و تدبير الخلافات والنزاعات بشكل سلمي و حضاري في الوسط الجامعي.

كلها أسباب ودوافع تؤجج الاحتقان والتوتر ولا تبرره. فنبذ العنف والصراعات الدموية داخل حرم الجامعة ضروري من كل الأطراف.

لقد طفت إلى السطح في الآونة الأخيرة مجموعة من مظاهر العنف الطلابي، ومن تجلياتها الاعتداءات المتكررة على الأساتذة

والموظفين، وكذا أشكال العنف بين فصائل الطلبة واعتداؤهم على بعضهم البعض.

وفي هذا – ربما - انعكاس طبيعي لمظاهر العنف و "التشرميل" المنتشرة في المجتمع. مما يثير المخاوف حول ما ستؤول له الأوضاع في المستقبل إذا لم تتدارك المخططات التربوية و التعليمية الموجهة للتلاميذ و الطلبة الوضع لنجعل من المدرسة المغربية مدرسة وطنية للتربية على المواطنة والتسامح والحوار بدل زرع بذور العنف والتطرف والتعصب ، آخذين بعين الاعتبار أن محور الإصلاح وجوهره هو "الطالب المغربي" بالأساس.

بخصوص المقاربة الأمنية:

ففي إطار البحث عن مقاربة أمنية حكيمة أو عن حكامة أمنية داخل الحرم الجامعي، يجب وضع حد لما يسمى ب "الحياد السلبي" لقوات الأمن، والكيل بمكيالين في ما يتعلق بالعنف داخل الحرم الجامعي.

- **فالسلطات الأمنية تبيح لنفسها أحيانا خرق حرمة الجامعة عندما يتعلق الأمر بمعارضة السلطة، وتعتقل الطلبة، وكل من يدور في محيط الجامعة، وأحيانا دون ميز حين تصل المظاهرات على خارج الحرم ... لأنهم يعارضون السلطة. وعندما يتعلق الأمر بالعنف بين الطلبة في ما بينهم أو بين الفصائل الطلابية، فإن السلطات الأمنية تلتزم الحياد وتترك الطلبة يقتلون بعضهم بعضا. وهذا يسبب في تشويه صورة الجامعة وعزلها عن المجتمع.**

- **إن ازدواجية "عنف الدولة" و "العنف الفصائلي" سيجعل الجامعة المغربية رهينة للعنف والتوثر لأمد طويل، طالما أن الحكامة الأمنية لم تجد طريقها كمخرج لنمو ظاهرة العنف داخل الجامعة.**

عبد اللطيف أعمو
29 **ابريل** 2014